REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

الهيئة المصرية العامة للكتاب
رئيس مجلس الإدارة
د. هيثم الحاج علي

المجلة التَّاريخيَّة المصْريَّة

مجلةٌ عِلْمِيَّة مُحَكَّمَة تُصْدِرُها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

حقوق الطبع محفوظة
للهيئة المصرية العامة للكتاب

الترقيم المطبوع	رقم الإيداع بدار الكتب
2401-1687	99/9440
الترقيم الألكتروني	الترقيم الدولي
3354-2735	977-5366-11-9

موقع المجلة على بنك المعرفة https://jejh.journals.ekb.eg/

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

قطعة ٤ بلوك ٧ ـ المنطقة التاسعة ـ شارع د. رؤوف عباس ـ مدينة نصر ـ القاهرة
تليفون : ٠١١٢٧٣٨١٩١٢ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٤ ـ ٢٤٧٢٨٢٩٦ ـ فاكس : ٢٤٧٢٨٢٩٨
Email: Seehist1945@yahoo.com

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المجلة التاريخية المصرية

REVUE EGYPTIENNE
DES ÉTUDES HISTORIQUES

تُصدرها

الجمعية المصرية للدِّراسات التاريخية

المراسلات ـ الأستاذ الدكتور أيمن فؤاد سيد
رئيس مجلس إدارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
eegyptian.historical2021@gmail.com

المجلد الرابع والخمسون

القاهرة

٢٠٢٠م

هَيْئَة التَّحْرِير

أ.د. أيمن فؤاد سيد ـ رئيس التحرير
أ.د. أحمد زكريَّا الشَّلْق
أ.د. أحمد الشِّرْبِيني السَّيِّد
أ.د. جمال مُعَوَّض شَقْرَة
أ.د. خَلَف عبد العظيم الميري
د. محمَّد فوزي رَحِيل ـ سكرتير التحرير

الهَيْئَة الاسْتِشَارِيَّة الدَّوْلِيَّة للمَجَلَّة

أ. د. إبراهيم القَادِري بوتْشِيش (المَغْرِب)
أ. د. أحمد رَجَب محمد علي (مصر)
أ. د. إسْحَاق تاوَضْرُوس عِبِيد (مصر)
أ.د. أشْرَف محمَّد مُؤْنِس (مصر)
أ. د. تُرْكِي بن فَهْد آل سَعُود (السَّعُودِيَّة)
أ. د. جولييت رَسِّي (لُبْنَان)
أ. د. حسين سيِّد عبد الله مُراد (مصر)
أ. د. السَّيِّد فِلِيفِل (مصر)
أ. د. عاصِم أحمَّد الدِّسُوقي (مصر)
أ. د. عبد الكَرِيم مَدُون (المَغْرِب)
أ. د. عبد الله بن محمَّد المُنِيف (السَّعُودِيَّة)
أ. د. عَفَاف سَيِّد صَبْرَة (مصر)
أ. د. عَلَاء الدِّين عبد المُحْسِن شَاهِين (مصر)
أ. د. محمَّد م. الأُرْنَاؤوط (كوسوفو)
أ. د. محمَّد صَابِر عَرَب (مصر)
أ. د. محمَّد السَّيِّد عبد الغَنِي (مصر)
أ. د. محمَّد عِيسَى الحَرِيرِي (مصر)
أ. د. محمُود إسْماعِيل عبد الرَّازِق (مصر)
أ. د. مُنِيرَة شَابُوتُو رِمَادِي (تُونِس)
Prof. Dr. Sylvie DENOIX (France)
Prof. Dr. Albrecht FUESS (Germany)
Prof. Dr. Nicolas MICHEL (France)
Prof. Dr. Tetsuya OHTOSHI (Japan)
Prof. Dr. Michel TUCHSCHERER (France)

الإخراج الفني وتصميم الغلاف : محمد أشرف عبد المقصود

الآراء الواردة بهذه المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها
ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الجمعية أو الناشر

المحتـويات

الصفحة

التواد الاجتماعي في مصر الرومانية في ضوء الوثائق البردية
نادر فتحي محمد ٧-٣٢

التطورات الاجتماعية وأثرها في ازدهار منطقة عسير خلال الفترة من (١٤٠٢ - ١٤٢٦هـ/١٩٨٢ - ٢٠٠٥م)
سعيد بن سعد بن خاطر القحطاني ٣٣-٦٢

نشأة جامعة كمبريدج فى العصور الوسطى
طارق شمس الدين زاكر أبو المجد ٦٣-٩٦

من سراييفو إلى القدس عبر زيمون: الحاخام يهودا القلعي (١٧٩٨-١٨٧٨)
رمز الانتقال من الصهيونية الدينية إلى الصهيونية السياسية
محمد م. الأرناؤوط ٩٧-١٢١

إسهامات إبراهيم فوزي باشا فى تدوين تاريخ مصر فى منابع النيل فى النصف الثانى من القرن ١٩
أحمد عبد الدايم محمد حسين ١٢٣-١٦٥

ثورة ١٩١٩م وأثرها على الحركة الوطنية الجزائرية
أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس ١٦٧-١٨٧

دور المكونات الاجتماعية في تشكيل دول المشرق العربي في النصف الأول من القرن العشرين الميلادي
ماجد الحسيني الحارثي ١٨٩-٢٢١

المجلة التاريخية المصرية ٥٤ (٢٠٢٠) ٦٣ــ٩٦

نشأة جامعة كمبريدج فى العصور الوسطى

طارق شمس الدين زاكر أبو المجد*

ملخص

يتناول هذا البحث نشأة جامعة كمبريدج في العصور الوسطى، حيث تأسست الجامعة في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي، وتحديدًا عام ١٢٠٩م بعد أحداث الشغب التي حدثت في نفس العام في جامعة أكسفورد وانتقل الطلاب على أثرها إلى الجامعة الجديدة. مرت جامعة كمبريدج بثلاث مراحل أثناء نشأتها حتى تبلورت وأخذت مكانها اللائق بين جامعات العصر الوسيط، جاءت المرحلة الأولى في القرن الثالث عشر وهى مرحلة النشأة والتأسيس، وشهدت هذه المرحلة وضع اللبنات الأولى في بناء الجامعة ماديًا وبشريًا؛ أي بناء أماكن التعليم والدراسة، وبناء هيكلها التدريسي والإداري. أما المرحلة الثانية فهى مرحلة تطور الجامعة في القرن الرابع عشر، وشهدت تأسيس كليات الجامعة التي بلغ عددها اثنى عشر كلية وقاعة بنهاية القرن الخامس عشر، ووجود هيكل إداري وتنظيمي قوي للجامعة، مع وجود التشريعات والقوانين التي كانت بمثابة الإطار الحاكم لهذه المؤسسة. أما المرحلة الثالثة والأخيرة فهى مرحلة النضج والتي بلغتها الجامعة في القرن الخامس عشر، ففيها حصلت الجامعة على استقلالها الكنسي والأسقفي، كما شاركت بفاعلية في أحداث المجتمع المختلفة.

---

* معيد بقسم التاريخ – كلية التربية – جامعة عين شمس.

Abstract

This study traces the rise of Cambridge University in the Middle Ages. The study tackles the founding of the university, which was founded in the early thirteenth century AD, specifically in 1209, after the riots, which have occurred in the same year at the University of Oxford – an event that has forced the students to move on to the new university. Cambridge University has undergone three main stages until it has taken its proper place among the universities of the Middle Ages. Occurring in the thirteenth century, the first stage of foundation and establishment has witnessed the placement of the first building blocks regarding the material construction of the university and the staffing, i.e. the construction of the university's educational facilities and its educational and administrative structures. Taking place in the fourteenth century, the second stage of evolution has witnessed the establishment of the twelve faculties of the university and a hall at the end of the fifteenth century, as well as the establishment of a firm administrative and organizational structure supported by regulations and laws that serve as a governing framework for this institution. The third and last stage focuses on the status of accomplishment attained by the university in the fifteenth century. At that time, the university has obtained its independence from the Church and has actively participated in various social events.

❋

❋ ❋

ارتبطت نشأة جامعة كمبريدج بمجموعة من الأساطير أو القصص الخرافية التى دارت حولها، لإثبات أقدميتها على جامعة أكسفورد، والتغلب على أسطورة تأسيس الملك ألفريد لها. وتعددت الكتابات حول موضوع أقدمية كل من جامعتى أكسفورد وكمبريدج من قبل مُريدى الجامعتين فى القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. وفى كثير من الأحيان أُحتكم إلى التاريخ المبكر لكمبريدج فى نزاعات أكسفورد وكمبريدج، لذا بعض الإشارات لهذه الأساطير يبدو ضروريًا(١).

يعود أصل كمبريدج إلى الأمير الأسبانى كانتابر Cantaber، الذى نُفى من وطنه الأصلى، وكان فى ضيافة الملك جورجانت Gurguntius ملك بريطانيا (٣٧٤-٣٦٩ ق.م) الذى قدم له يد ابنته جونيلينا Guenolena ومعها القسم الشرقى من بريطانيا. وقد بنى كانتابر مدينة كبيرة على نهر كانتى Cante وسماها كانتابرجيا Cantabrigia، حيث أقام هناك وحافظ على عهدته الخاصة، وأحضر مجموعة من علماء الفلك والفلاسفة من أثينا، فى المدينة التى هو نفسه تعلم فيها(٢). وبمراعاة زمن تواجد كانتابر توجد بعض الاختلافات؛ فحدد البعض تاريخ ٤٣٢١ A.M.(*)، وآخرين عام ٤٣٤٨ A.M.، وغيرهم

---

(١) نظير حسان سعداوى: تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والحديثة، القاهرة – دار النهضة العربية ١٩٦٨م، ١٢١؛

COOPER, C.H., *Annals of Cambridge*, vol.I, Cambridge University Press, Cambridge, 1852, p.1; GRAY, A., *Cambridge and Its Story*, London, 1902, p.10.

وعن أسطورة تأسيس الملك ألفريد لجامعة أكسفورد انظر:

DENIFLE, H., *Die Universitäten Des Mittelalters Bis 1400*, Berlin, 1885, pp.237-41.

(٢) DYER, G., *History of the University and Colleges of Cambridge*, vol.I, London, 1814, p.40; COMPAYRE, G., *Abelard and the Origin and Early History of Universities*, London, 1893, p.56; Cooper, p.1

لنظر أيضا: https://nl.wikipedia.org/wiki/Gurguit_Barbtruc

(*) A.M.: اختصار للكلمة اللاتينية Anno Mundi ويقصد بها يوم العالم، وهو عصر التقويم الذى يبدأ من خلق العالم حسب الكتاب المقدس.

عام ٣٥٨٨ A.M.[١]. وتشير هذه التواريخ إلى القرن الرابع قبل الميلاد وتحديدًا عام ٣٧٥ ق.م؛ بينما يشير المؤرخ هولينشيد Holinshed أن كمبريدج بنيت لأول مرة بواسطة Gorbonianus الذى كان ملك بريطانيا من ٣٣٦ إلى ٣٢٠ ق.م[٢].

ولا داعى لسرد جميع الأحداث التى يقال أنها حدثت فى هذه الجامعة أو مدينة العلماء (كما يُطلق عليها) عقب تأسيس كانتابر، حيث أكد فلاسفة الإغريق البارزين أمثال أناكسيمندر Anaximander وأناكسجوراس Anaxagoras أنهما كانا معلمين هناك، ويقال أن الملك كاسيبلان Cassibelan منح امتيازات للعلماء، ونزح العديد منهم إلى روما بواسطة يوليوس قيصر. وتستهل قائمة رؤساء هذه الجامعة بأمفيبليوس الشهيد Amphibalus فى عام ٢٨٩م. ويذكر أن حوالى عام ٣٠٣م، قامت مجموعة من البريطانيين بذبح جميع الطلاب المسيحيين فى الجامعة بقسوة ووحشية، ووقع دمار وخراب تام بعد ذلك بقرن تقريبًا بواسطة بيلاجيوس Pelagius الذى لقى معارضة شديدة بسبب هرطقاته عندما كان طالبًا هنا من قبل علماء اللاهوت[٣].

وفى حين يتجاهل بعض المؤرخين الأساطير السابقة تمامًا، فإنهم ينسبون أصل الجامعة إلى الملك ثجبرت Sigebert أو ثجبركت Sigberct (٦٥٦-٦٣٣م) ملك إيست أنجليا، التى تأسست على يديه عام ٦٣٧م. وكيف وجدت الجامعة رعاية ملكية من قبله، وكان منها أول أساتذة اللاهوت علماء السكسون العظماء بيده وألكوين. وتعتمد الفئة المؤيدة بفرضية تأسيس ثجبرت لجامعة كمبريدج اعتمادًا كليًا على إدعاء بيده الموقر، بأن هذا الملك فى الفترة المشار إليها، أسس مدرسة فى مملكته

---

(١) حدد الراهب نيكولاس كانتيوب Nicolas Cantaupe تاريخ ٤٣٢١ A.M.، والراهب جون لادجيت John Lydgate سنة ٤٣٤٨ A.M.، ودكتور كيوس Dr.Caius سنة ٣٥٨٨ A.M. انظر: COOPER, p.2

(٢) COOPER, p.2; DYER, p.39.

https://www.alternatehistory.com/forum/threads/fake-king-list-for-british-monarch-claiming-arthurian-descent.261169/

(٣) COOPER, p.2.

لتعليم الصبيه. ومع ذلك لا يوجد شئ على الإطلاق يبين أن هذه المدرسة أسست فى كمبريدج. وعلى الرغم من أن الجامعة تحتفل بذكرى الملك ثجبرت كمؤسسها حتى الآن، فإن حقه فى التميز يبدو أقوى من مثال كانتابر(١).

دُعَّم إدعاء عودة الجامعة لمؤسس ملكى وأصول سحقية بالمواثيق الملكية والبراءات البابوية، غير أن جميعها مزيفة على ما يبدو. وأول هذه المواثيق، مؤرخ فى لندن بتاريخ السابع من إبريل عام ٥٣١م، وفيه أعفى الملك آرثر Arthur علماء كمبريدج من الضرائب العامة وعبء بعض الأعمال، لكى يواصل الأساتذة والعلماء دراسة الأدب دون عائق. كما صدر مرسوم من قبل الملك Lucius الذى اعتنق المسيحية من خلال وعظ وتبشير أساتذة كمبريدج(٢). أما الميثاق الثانى فهو مؤرخ فى كمبريدج سنة ٦٨١م، وفيه منح الملك كادولد Cadwald لألمريكيوس Almericus، عميد مدارس كمبريدج، السلطة لمعاقبة جميع الجرائم، ماعدا الخيانة العظمى، جنبًا إلى جنب مع كل الامتيازات التى مُنحت من قبل أسلافه أسلبيدورس Asclepiodorus، قنسطنطين Constantine، أوتربيندراجون Uterpendragon، آرثر، ومن قبل والده كادول Ceadwal. وجاء الميثاق الثالث الذى منح فى جرينشستر Grantchester سنة ٩١٥م، لرئيس جامعة كمبريدج فريثتانوس Frithstanus، وفيه أكد الملك إدوارد الكبير Edward the Elder، على جميع الامتيازات التى مُنحت لأساتذة وطلاب كمبريدج من قبل أسلافه(٣).

كما حظرت البراءات البابوية المنسوبة إلى هونوريوس الأول Honorius I، وسرجيوس الأول Sergius I والمؤرختين فى عامى ٦٢٤م و٦٨٩م، على التوالى، على جميع رؤساء الأساقفة والأساقفة ورؤساء الشمامسة وموظفى الكنيسة الآخرين من

---

(١) COOPER, p.2; Dyer, p.46-56; Stubbs, C.W., Cambridge and Its Story, London, 1903, p.4.

(٢) COOPER, p.3; KNOWLES, D., The Evolution of Medieval Thought, 2nd Edition, London, 1988, p.152; Denfile, p.367.

(٣) COOPER, p.3; Denifle, p.367.

التدخل فى شئون الجامعة، وخاصة فى الإيقاف عن العمل أو حرمان كنسى من قبل رئيس الجامعة أو العمداء. وقد كان لمرسوم البابا هونريوس الأول صدى كبير لأنه أكد فيه أنه كان طالبًا فى كمبريدج، وفيه منح الجامعة إعفاءً من السلطة الأسقفية(١). وفى عام ١٤٣٠م، أُعلن أن أصول هذه البراءات المزعومة فقدت منذ ما يزيد عن سبعين عامًا، ولكن نسخ منها وردت كدليل فى التحقيق القضائى الذى حدث بعد ذلك بالنسبة للقضاء الكنسى للجامعة، واعترف مندوب البابا بصحة شرعيتهم وأكد حكمه فى روما. وقد نُسبت البراءة البابوية للجامعة للبابا يوحنا العاشر (٩٢٨-٩١٤م)، ولكنها فى حقيقة الأمر مُنحت من قبل البابا يوحنا الثانى والعشرون (١٣٣٤-١٣١٦م) فى عام ١٣١٨م(٢).

ترجع لعام ١١١٠م القصة الوحيدة لأصل جامعة كمبريدج الجديرة بالتصديق والأقرب للواقع، وتحمل قليل من المصداقية، والتى جاءت فى إضافات بيتر بلوا Petrus Blasensis (*)، رئيس دير كرولاند Croyland، لتاريخ إنجلوفس History of Ingulphus متحدثًا عن جوفريد Joffrid رئيس هذا الدير، ويخبرنا دى بلوا بأن:(٣)

«كما أرسل إلى مزرعته فى كوتنهام Cotenham بالقرب من كمبريدج، السير جيسلبرت Gislebert تلميذه الراهب وأستاذ اللاهوت مع ثلاث رهبان آخرين الذين

---

(١) GRAY, p.10; COOPER, p.3.

(٢) COOPER, p.3.

(*) بيتر بلوا: رجل دولة ولاهوتى ولد فى بلوا بفرنسا عام ١١٣٠م، درس القانون فى بولونيا واللاهوت فى باريس، ذهب إلى صقلية فى عام ١١٦٧م وأصبح معلم الملك هناك، وراعى الختم الملكى، وأحد المستشارين الرئيسيين للملكة، ولكن اضطر لمغادرة صقلية عام ١١٦٩م بسبب غيرة النبلاء. بعد عدة سنوات ذهب إلى انجلترا وأصبح من دبلوماسى الملك هنرى الثانى ومستشار رئيس أساقفة كانتربرى. كتب العديد من المؤلفات وأكمل تاريخ دير كرولاند من ٩٠١م إلى ١١٣٥م وتوفى حوالى عام ١٢٠٣م. انظر:
http://www.newadvent.org/cathen/11765a.htm

(٣) HUMPHRY, G.M., "Cambridge: Its University and Its Colleges", BMJ, vol.2, No.187 (Jul.30, 1864), p.122; MALDEN, H., On the Origin of Universities and Academical degrees, London, 1835, p.92; COOPER, p.22-3.

رافقوه من أورليانز Orleans إلى إنجلترا، وتلقوا تعليمًا جيدًا فى القضايا والنظريات الفلسفية وبعض العلوم البسيطة الأخرى، وحضروا يوميًا إلى كمبريدج، فى ساحة عامة مؤجرة فى الغالب، ودرَّس علومه علنًا، وفى فترة زمنية قصيرة جمع عدد كبير من الطلاب. ولكن فى السنة الثانية من مجيئهم، ازداد عدد الطلاب إلى حد كبير من جميع أنحاء الدولة والمدينة أيضًا، فلم يكن حتى أكبر منزل أو ساحة أو كنيسة كافيًا لإستقبالهم...»(١).

إن تاريخ وطريقة بدء جامعة كمبريدج غير محددة على وجه الدقة، هل كانت موجودة قبل الغزو النورمانى، أم ذاع صيتها فى عهد هنرى الأول Henry I (١١٠٠-١١٣٥م)؟ ولكن من المؤكد وفقًا لآراء السيد كوبر Mr. Cooper، أنه لا يوجد ذكر فى كتاب الإحصاء الملكي لأى جامعة أو مجتمع أكاديمى، ولا يوجد أى شئ يحث على الاعتقاد بوجود هذه المؤسسة فى تلك الفترة(٢). ورغم اختلاف آراء العلماء والمؤرخين حول هذه القصص والأساطير التى عُدت دربًا من الخيال، وحول البداية الحقيقية لجامعة كمبريدج، إلا أن الإجماع جاء ليؤكد أن عام ١٢٠٩م هو البداية الحقيقية والمؤكدة لنشأة هذه الجامعة.

ظهر النشاط التعليمى لأول مرة فى جامعة كمبريدج عام ١٢٠٩م بإعتبارها المكان الذى لجأ إليه عدد كبير من طلاب أكسفورد بعد واحدة من المعارك الدامية وأحداث الشغب التى وقعت هناك بين أهالى المدينة والطلاب(٣). وفى محاولة لإضعاف قوة الجامعة وفى تجاهل تام لإحترام جامعة أكسفورد أمر الملك جون بإعدام اثنين من

---

(١) Ingulph's Chronicle of the Abbey of Croyland: with the Continuations by Peter of Blois and Anonymous Writers, trans. from the Latin with notes by Henry T. Riley, London, 1908, p.237.

(٢) HUMPHRY, p.122.

(٣) LEADER, D.R., A History of the University of Cambridge, vol.I: The University to 1546, Cambridge University Press, Cambridge, 1994, p.17; VAUGHN, E.V., The origin and early development of the English universities to the close of the thirteenth century; A study in institutional history, University of Missouri, 1908, p.41; LEACH, A.F., The Schools of Medieval England, London, 1915, p.157; BATESON, M., Mediaeval England 1066-1350, London, 1903, p.237; Denifle, p.368; Malden, p.93.

الطلاب. وعلى أثر هذه الحادثة تشتت طلاب أكسفورد وعمت الفوضى[١]. حيث فر الطلاب هاربين نجاة بأرواحهم، وتناثر بسرعة كل من الأساتذة والطلاب: فذهب البعض إلى الجامعة الأم باريس، وآخرين إلى كمبريدج، والبعض إلى ريدنج Reading، وميدستون Maidstone[٢].

ويخبرنا روجر وندوفر فى هذا الشأن فيقول:

«فى عام ١٢٠٩م كان هناك طالب يدرس الفنون السبعة الحرة فى أكسفورد، وقتل عن طريق الخطأ امرأة من المدينة، وعندما وجد أنها فارقت الحياة أثر سلامة نفسه ولاذ بالفرار. لكن عمدة المدينة وبعض الأهالى، وجدوا المرأة ميتة، وبدأوا بالبحث عن القاتل فى مسكنه، الذى استأجره مع ثلاثة آخرين من زملائه، لكنهم لم يجدوا القاتل، وألقوا القبض على زملائه الثلاثة، الذين لم يكونوا على دراية بعملية القتل، وزجوا بهم فى السجن. وبعد بضعة أيام قاموا، بأمر من الملك، وفى انتهاك لحقوق الكنيسة، بأخذ الطلاب خارج المدينة وشنقهم. وعلى هذا ثلاثة آلاف، أساتذة وطلاب، غادروا أكسفورد، بحيث لم يبق واحد من الجامعة بأكملها؛ بعض منهم ذهب إلى كمبريدج، وآخرون إلى ريدنج لمتابعة دراستهم، وتركوا مدينة أكسفورد فارغة»[٣].

يُعد طابع ونظام مدارس كمبريدج قبل هذه الفترة أمر غامض. كما أن التكهن بأن

---

(١) MATTHEW of WESTMINSTER, The Flowers of History: Especially such as relate to the Affairs of Britain The beginning of the world to the year 1307, vol.II, trans. from the original by C.D.Young, London, 1853, p.110; HUBER, V.A., The English Universities, vol.I, trans. from German and ed. by Francis W.Newman, London, 1843, p.88; PATTON, C.P., "The Origins and Diffusion of the European Universities", Yearbook of the Association of Pacific Coast Geographers, vol.31, 1969, p.12; LEADER, p.17.

(٢) LAURIE, S.S., The Rise and Early Constitution of Universities, With a Survey of Medieval Education, New York, 1887, p.241; RASHDALL, H., The Universities of Europe in the Middle Ages, vol.II, part.II, The Clarendon Press, Oxford, 1895, p.349; VAUGHN, p.68; DENIFLE, p.242; PARRY, A.W., Education in England in the Middle Ages, London, 1920, p.140.

(٣) ROGER of WENDOVER, Flowers of History, vol.II, trans. from the Latin by J.A.Giles, London, 1849, p.249-50.

أصل جامعة كمبريدج يرجع إلى دير بارنويل Barnwell، غير واضح، لأن بارنويل تبعد ميلًا عن موقع الجامعة، ولم يسمع أى شئ عن وجود مدارس سواء فى بارنويل أو فى مكان آخر فى كمبريدج قبل الهجرة التاريخية عام ١٢٠٩م. وهو نفس الأمر من جعل جامعة أكسفورد التطور الطبيعى لمدارس سانت فرايدزواید St.Frideswyde. ولا يوجد أدنى شك بوجود مدرسة فى دير بارنويل، وكانت هناك بالتأكيد مدارس القواعد Grammar Schools التى كانت موجودة فى القرن الثانى عشر فى كل مدينة كبيرة مثل كمبريدج؛ ولكن البحث فى أن هذه المدارس كانت «نواة» للجامعة فيما بعد سوف يكون مضللًا(١).

وإذا كانت جامعة كمبريدج تدين فى نشأتها تمامًا إلى هذا الإنشقاق من جامعة أكسفورد، فإن هذا الأمر موضع شك، ولكن هناك إتجاه من الباحثين للإجماع عليه(٢). ومن ثم يمكن القول أن جامعة كمبريدج نشأت من أكسفورد، مثلما نشأت أكسفورد من باريس(٣). لقد تحكمت البيئة الخارجية فى ظروف نشأة كل جامعة إلى حد كبير منذ ولادتها. حيث كانت أكسفورد ممرًا للملوك والجيوش، وطريقًا إلى لندن؛ بينما كانت كمبريدج بعيدة عن حركة البلاط الملكى والجيوش، إلى جانب أنها كانت ريفية(٤).

ورغم إجماع المؤرخين على عدم معرفة أى مدارس فى كمبريدج قبل عام ١٢٠٩م، إلا أننى اختلف معهم فى هذا الأمر، ففى القرن العاشر قام أثيلولد بتأسيس مدرسة

---

(١) RASHDALL, vol.II, part.II, p.545-6.

هناك رأى يرى أن جامعة كمبريدج نشأت فى نفس القرن الذى نشأت فيه جامعة أكسفورد، ففى عام ١١١٢م عبر رهبان سانت جيلس St.Giles نهر كام وأقاموا فى الدير الجديد فى بارنويل، وحظى عملهم فى التعليم أهمية كبرى إضافة لعملهم الرهبانى. عن ذلك انظر:

.https://library.eb.co.uk/levels/adult/article/education/105951

(٢) LEACH, A.F., Educational Charters and Documents 598 to 1909, Cambridge University Press, Cambridge, 1911, p.XXV.

(٣) PATTON, p.14.

(٤) GRAY, p.10.

ونشستر، وكان الطلاب يدرسون كتابًا له أشار فى مقدمته أنه حصل على موافقة الملك إدجر (٩٤٣-٩٧٥م) على هذا الكتاب، ونظرًا لأنه كان مكتوبًا باللاتينية فقد أمره الملك بترجمته إلى الإنجليزية ولاسيما أن هذا الكتاب كان يُدرَّس فى مدارس أخرى فى إيلى بكمبريدج وأبنجدون[١]. كما حدث التعليم الإبتدائى فى كمبريدج ابتداءً من القرن الثانى عشر فصاعدًا، وبشكل رئيسى لأطفال سكان المدينة، ومن المرجح أن يكون قد وصل إلى عدد أكبر من السكان الذين ألتحقوا بمستوى تعليمى أعلى فى قواعد اللغة اللاتينية. وكان موقعها فى المنازل الخاصة والكنائس يعنى أن مثل هذه الأماكن لم تكن تُعرف باسم «المدارس»، وبالتالى من غير المحتمل أن تظهر على هذا النحو فى الوثائق، ولم تكن السلطات الكنسية أو البلدية معنية عادةً بتنظيم التعليم الأولى، لأنه كان منتشر على نطاق واسع، من الصعب مراقبته، وأدر القليل من المال[٢]. وبالتالى فهذا دليل قاطع على وجود مدارس فى كمبريدج قبل الجامعة، قد تكون ليست بنفس الشهرة التى حازت عليها مدن أخرى مثل أكسفورد، ولكن هذا لا يعنى عدم وجودها. على أية حال، استمرت هذا الجامعة الناشئة فى تدعيم أركانها وتوطيد جذورها فى المجتمع الإنجليزى بعد هذا الإنقسام من جامعة أكسفورد والذى صاحبه قيام الجامعة.

فى عام ١٢٢٩م، وعلى غرار تشتت طلاب جامعة أكسفورد، اندلعت فى باريس أحداث شغب بين الطلاب والمواطنين. حيث قامت مجموعة من الطلاب المخمورين ببعض أعمال العنف للمواطنين، وتعرض أعضاء الجامعة الذين لم تثبت إدانتهم لهجوم عنيف وسوء معاملة من قبل شرطة المدينة. لذا علق أساتذة الجامعة فصولهم

---

(١) سناء مندور طرفاية: جامعة أكسفورد فى انجلترا فى العصور الوسطى (١٢٠٠-١٣٥٠م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١١م، ٢٩-٣٠.

(٢) ORME, N., "The Medieval Schools of Cambridge, 1200-1550", PCAS, vol.104, 2015, p.125-6.

وللمزيد من التفاصيل عن المدارس النحوية فى كمبريدج وأستاذ القواعد انظر: Ibid., pp.126-34.

وقدموا شكوى إلى أسقف باريس وطالبوا بالتعويضات. ولكن الطلب رفض، وتشتت الأساتذة والطلاب(١). ونتيجة للأوضاع المضطربة فى جامعة باريس، وجد الملك هنرى الثالث الفرصة سانحة لإذلال الملكية الفرنسية، حيث وجه خطابًا دعى فيه الطلاب بأن يأتوا إلى إنجلترا ويسكنوا فى أى المدن والأحياء التى يختارونها ومنحهم امتيازات كثيرة(٢). وقد استفادت أعداد كبيرة من دعوة الملك لتستقر حيثما تشاء فى هذا البلد، وهاجرت إلى شواطئ إنجلترا، ولاسيما كمبريدج، ربما بسبب قربها من الساحل الشرقى، ويبدو أنها جذبت غالبية كبيرة من الطلاب(٣). ويُعد هذا الحدث خطوة مميزة فى تطور جامعة كمبريدج، لأن الملك هنرى الثالث قدم الملاذ إلى طلاب وأساتذة جامعة باريس المشتتين، وبعد هجرة طلاب جامعة باريس فى عام ١٢٢٩م، أصبح أى اعتراف ملكى أو أى تنظيم أكاديمى بارز واضحًا فى هذه المدينة(٤).

وبحلول عام ١٢٣١م، تطورت جامعة كمبريدج وازدهرت كجامعة وأصبح لها رئيسها الخاص من تلقاء نفسها. وفى نفس العام أصدر الملك هنرى الثالث أوامره لحاكم مقاطعة كمبريدج بأن يلقى القبض على الطلاب المخالفين، والذين لم يخضعوا لتأديب رئيس الجامعة والأساتذة، ووضعهم فى السجن أو طردهم من المدينة. وفى

---

(١) MULLINGER, J.B., The University of Cambridge, vol.I: From the earliest times to the Royal Injunctions of 1535, Cambridge University Press, Cambridge, 1873, p.106; STUBBS, p.59; LAURIE, p.242; DENIFLE, p.246-7.

لتفاصيل الصراع وأحداثه بين مدينة وجامعة أكسفورد وأسباب التشتت انظر: HUBER, pp.90-3

(٢) زينب عبد المجيد: «جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى»، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مج٣، ٢٠٠٣م، ص٤٥؛ سهى إبراهيم منصور: جامعة أكسفورد خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م، ٥٦؛ Mullinger, p.107

(٣) KIBRE, P., Scholarly Privileges in the Middle Ages, Cambridge: Massachusetts, 1962, p.270; Stubbs, p.59; VAUGHN, p.70.

(٤) RASHDALL, vol.II, part.II, p.546-7; MULLINGER, p.123.

نفس الوقت أمر حاكم المقاطعة والنواب Bailiffs بأن يُؤجرَّوا منازلهم للطلاب بإيجارات مناسبة وأن تُقدَّر بواسطة اثنين من الأساتذة واثنين من المواطنين. والفرق الوحيد الذى يمكن ملاحظته بين أكسفورد وكمبريدج، أن فى أكسفورد ينفذ الشريف الأوامر الصادرة له من رئيس الجامعة، بينما فى كمبريدج كان على رئيس الجامعة أن يبلغ أسقف إيلى، الذى بدروه يعطى الأمر إلى حاكم المقاطعة(١).

وكان الهدف من وراء هذا الخطاب الملكى هو تحسين تنظيم الجامعة، بسبب العدد الكبير للطلاب، سواء من داخل المملكة أو «من وراء البحار» بعد الهجرة الكبيرة التى جاءت إليها. وربما يُعد هذا أولى الوثائق للتنظيم التأديبى لمجموعة متعددة ومتمردة تمثل المجتمع الطلابى فى ذلك العصر(٢). ورغم أن فى ذلك العام، لجأت أعداد كبيرة من الطلاب إلى كمبريدج من أجل الدراسة، إلا أن هذا يدعو للتفكير عن موطن الطلاب الأوائل. يبدو أن معظمهم جاء من المقاطعات الشرقية، وخاصة إيست أنجليا، فى القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، لأنها المنطقة الأكثر إزدحامًا بالسكان فى إنجلترا، كما أن سكانها أثرياء ومغامرين(٣).

فى إبريل من عام ١٢٤٠م، حدثت أعمال شغب فى أكسفورد، حيث نشب خلاف شديد بين طلاب جامعة أكسفورد ومواطنى المدينة، وبناءً عليه ترك العديد من الطلاب المدينة وذهبوا إلى كمبريدج، حيث حصلوا على منحة من بعض الحريات ضد سلطات البلدية، وحصلوا على امتياز ملكى بهذا الأمر(٤). وفى الصوم الكبير عام ١٢٤٩م، فى حالة مشابهة، حدث تراجع من كمبريدج إلى أكسفورد. ونشبت معارك عنيفة بين الطلاب وأهالى المدينة، وقُتل وأصيب العديد من الأشخاص، كما دُمرت

---

(١) LEACH, Educational Charters, p.XXV-XXVI; Parry, p.141.

(٢) STUBBS, p.60; MULLINGER, p.123.

(٣) GRAY, p.19-20.

(٤) MATTHEW PARIS, English History from the Year 1235 to 1273, trans. from the Latin by J.A. Giles, vol.I, London, 1852, p.260.

وخُربت العديد من المنازل. ونتيجة لهذه الإضطرابات ذهب عدد كبير من الطلاب إلى أكسفورد. وقد شكلت لجنة للإستماع والبت فى الشكاوى بين الطلاب والمواطنين بعد ذلك بأمر من الملك(١). فيقول لنا متى الباريسى Matthew Paris عن هذا الأمر: «أثناء الصوم الكبير، وبسبب بسيط، اندلع شجار بين مواطنى وطلاب كمبريدج، وحدث سلب وتدمير للمنازل، ووقع جرحى وقتلى. وقد وصلت صرخات الشكاوى الثقيلة لآذان الملك، وانتشرت الفضيحة فى كل الأنحاء، وسببت الخسائر التى تكبدها كلا الجانبين معاناة مؤسفة. لقد كان الشجار المثار دمويًا بين الطلاب والعامة»(٢).

وبعد عشرة سنوات، وتحديدًا فى عام ١٢٥٩م، نشبت نزاعات عنيفة بين أهالى المدينة والطلاب فى كمبريدج، بعد أن حرر الطلاب واحد منهم من السجن، والذى كان مسجونًا بتهمة القتل، ولجأ الطلاب إلى الكنيسة طلبًا للحماية(٣). وقد شهد هذا العام أعمال شغب فى كل من كمبريدج وأكسفورد وباريس(٤). وفى عام ١٢٦١م، حدث شجار بين طلاب الجامعة، بدأ بشجار عام بين الطلاب، ثم انضم إليه أهالى المدينة، فعمت الفوضى الكبرى ونهبت منازل كلا الطرفين، وحرقت سجلات ومحفوظات الجامعة. وحين وصلت أخبار هذا الشغب للملك، أمر بتشكيل لجنة لمحاكمة المذنبين. ولكن الأحكام جاءت كلها فى صالح الطلاب والجامعة(٥).

---

(١) COOPER, p.45; VAUGHN, p.111; Gray, p.17; Kibre, p.274-5.

(٢) MATTHEW PARIS, English History from the Year 1235 to 1273, trans. from the Latin by J.A. Giles, vol.II, London, 1853, p.304.

(٣) COOPER, p.47-8; Vaughn, p.112.

(٤) اندلع شجار شديد الخطورة فى كمبريدج نتيجة لإدانة طالب بتهمة القتل، حيث أُطلق سراحه بالقوة بواسطة زملائه الذين ساعدوه على الهرب من السجن، وحملوه إلى الكنيسة طلبًا للحماية. كما شهدت جامعتى أكسفورد وباريس أيضًا اضطراب كبير فى ذلك الوقت. انظر:
MATTHEW PARIS, English History from the Year 1235 to 1273, trans. from the Latin by J.A. Giles, vol.III, London, 1854, p.326.

(٥) HUBER, pp.413-9; Cooper, p.48; MULLINGER, p.135; VAUGHN, p.112-3.

وعلى هذا المنوال، استمرت جامعة كمبريدج – فى فترتها الأولى – ما بين الدراسة وأعمال الشغب من الطلاب والمواطنين، حتى استطاعت بعد ذلك من فرض سيطرتها وتنظيم شئونها وسن القوانين التى من شأنها المساعدة فى ذلك، كما استطاعت بعد ذلك رويدًا رويدًا إكتساب بعض الامتيازات من قبل السلطة الحاكمة (الملوك)، ومن السلطة الكنسية (البابوية) أيضًا.

أثر الدعم الملكى فى نشأة الجامعة

فى الواقع، تدين جامعتى كمبريدج وأكسفورد كثيرًا لإزدهارهما إلى الملوك الإنجليز المتعاقبين الذين أظهروا اهتمامًا بالغًا فى العديد من النواحى الضرورية، حيث قاموا بحمايتهم من أعدائهم، وطالبوا الهيئات الدينية المختلفة فى البلاد بالإبقاء على عدد معين من الطلاب بهما، ومنعوا محاولات تأسيس جامعات فى أى مكان آخر، كما

= شهد عام ١٢٦١م عراكًا دمويًا فى شوارع كمبريدج بين الأمم الشمالية والجنوبية للجامعة، مما دفع مجموعة من الأساتذة الذين ينتمون إلى الأمة الشمالية إلى ترك المدينة. وشكلت مثل هذه الحوادث حالة مشتركة للحياة الجامعية فى القرن الثالث عشر، لكن هذه المرة كانت مختلفة قليلًا. وبسبب عدم رغبة المهاجرين فى التخلى عن أنشطتهم الأكاديمية، ذهبوا إلى نورثامبتون، حيث توجد المدارس بالفعل واستأنفوا تعليمهم هناك. وكون أن بعضهم كان لديه أصدقاء فى البلاط، حصلوا على خطابات ملكيّة تُلزم سلطات البلدية بالترحيب بالقادمين الجدد. ويبدو أن هذا التوسع المفاجئ للنشاط التعليمى داخل أسوار المدينة أدى إلى إنشاء مؤسسة جامعية، لأن الرسائل الملكية اللاحقة تشير إلى تعليم جامعى فى نورثامبتون. وعلى الرغم من تشجيع الملك لها فى البداية، إلا أنه تم قمعها بالقوة من قبل التاج عام ١٢٦٥م. لقد تجسد قرار أساتذة أكسفورد بترسيخ إحتكار التعليم العالى لأنفسهم وزملائهم فى جامعة كمبريدج فى القسم الذى يدار لقبول الأساتذة: «لن تستأنف محاضراتك بشكل رسمى فى الجامعة، أو تُقبل فى أى كلية فى الجامعة، أو فى أى مكان آخر فى إنجلترا إلا هنا أو فى كمبريدج، ولن توافق على الاعتراف بأى شخص على أنه أستاذ فى هذه الكلية التى تخرج فيها فى مكان أخر فى إنجلترا». انظر:

LAWRENCE, C.H., "The University of Oxford and the Chronicle of the Barons' wars", EHR, vol.95, No.374 (Jan., 1980), p.99, 112-3; VAUGHN, pp.76-8; LAURIE, p.242; LEACH, Educational Charters, p.XXVI.

وللمزيد عن انشقاق نورثامبتون انظر:

RICHARDSON, H.G., "The Schools of Northampton in the Twelfth Century", EHR, vol.56, No.224 (Oct., 1941), pp. 595-605.

هو الحال فى نورثامبتون عام ١٢٦١م، وستامفورد عام ١٣٣٤م، وأجبروا الطلاب على العودة إلى أكسفورد وكمبريدج. وقد حصلت جامعة كمبريدج على الحماية من خلال البراءة البابوية، التى أكدت جميع الامتيازات والتسهيلات، وأعطت رخصة للخريجين للتدريس فى أى جزء من العالم المسيحى. وقد مُنحت هذه البراءة البابوبة فى عام ١٣١٨م، من قبل البابا جون الثانى والعشرين John XXII (١٣١٦-١٣٣٤م) بناءً على طلب الملك إدوارد الثانى Edward II (١٣٠٧-١٣٢٧م)(١). وسوف يتم تناول هذه البراءة بشئ من التفصيل عند الحديث عن الدعم البابوى للجامعة.

حظيت جامعة كمبريدج بأول اهتمام ملكى من قبل الملك هنرى الثالث فى عام ١٢٢٩م، حينما سمح للطلبة النازحين من جامعة باريس بالإقامة فى كمبريدج والدراسة بها(٢). ثم منح الملك هنرى الثالث امتياز للجامعة عام ١٢٣١م، ووضع قواعد خاصة لحماية الطلاب وتنظيم شئون الجامعة(٣). ويرجع هذا الامتياز الملكى إلى انزعاج جامعة كمبريدج من الطلاب المشاغبين والمخالفين للنظام الجامعى. ومن أجل مزيد من الأمان والاستقرار لتعقب ممارساتهم الخاطئة، بالإضافة إلى المبالغ الباهظة التى طالب بها أهالى المدن مقابل إيجار النزل التى يسكنها الطلاب. أصدر الملك أربعة أوامر، كتبت جميعها فى أكسفورد فى الثالث من مايو عام ١٢٣١م. أولها: أمر الملك حاكم المقاطعة (الشريف) بمعاقبة وقاحة الطلاب، بشرط أن يتم ذلك فى وجود أسقف إيلى، وبناءً على تقدير رئيس وأساتذة الجامعة، إما بحبسهم أو طردهم من الجامعة. ثانيها: أمر الملك العمدة بالتوجه إلى كمبريدج بصحبة صفوة الرجال

---

(١) HUMPHRY, p.122; HUBER, pp.415-7; Denifle, p.368-9.

وللمزيد عن إنشقاق ستامفورد انظر:

SALTER, H.E., "The Stamford Schism", EHR, vol.37, No.146 (Apr., 1922), pp.249-53.

(٢) سعيد عاشور: الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى، القاهرة - مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩م، ١٢٧؛ DYER, p.45

(٣) HUGHES, p.226; Vaughn, p.110-1.

والقانونيين من مقاطعته، وأن يعلن هناك باسم الملك يجب على الطلاب غير المنتظمين فى دروس الأساتذة والذين لا ينتسبون لأى أستاذ مغادرة المدينة خلال خمسة عشر يومًا، وعقب انتهاء هذه المدة، أمر العمدة بإلقاء القبض على كل من لم يغادر وسجنه. ثالثها: أمر الملك أسقف إيلى أنه ينبغى عليه طلب مساعدة العمدة، كلما استنجد به رئيس الجامعة والأساتذة لمعاقبة شغب وتمرد الطلاب. رابعها: أمر الملك أن تقدر إيجارات النزل التى يسكنها الطلاب بواسطة اثنين من الأساتذة واثنين من خيرة رجال المدينة الأكفاء خصصوا لهذا الغرض(١)، على أن يتم ذلك وفقًا لتقاليد الجامعة(٢).

وفى محاولة من الملك هنرى الثالث للحفاظ على سلام وهدوء الجامعة بسبب النزاعات المتكررة بين الطلاب والعامة، أمر الملك عمدة المقاطعة فى عام ١٢٤٢م بأن يحتجز فى السجن أى طالب يزج بنفسه فى الأفعال الشريرة بدلًا من مواصلة دراسته، ويبقى بأمان بداخله حتى يتسلمه رئيس الجامعة من السجن. وفى عام ١٢٤٩م وجه الملك أوامره إلى عمدة كمبريدج تمنعه من إلقاء القبض على أى طالب(٣). واستمرارًا لامتيازات الملك هنرى الثالث ودعمه لجامعة كمبريدج، عمل الملك على منع قيام جامعة فى نورثامبتون لأن قيام جامعة هناك من شأنه الإضرار بالنمو الاقتصادى الذى

---

(١) Cooper, p.41-2, Malden, p.94-5; Leader, p.25-6; Kibre, p.271; Bateson, p.237.

وجدت لدى جامعة أكسفورد مثل هذه الرسائل موجهة إلى عمدة ونواب أكسفورد؛ لأن تاريخ امتيازات جامعة كمبريدج تتبع نفس مسار التطور فى جامعة أكسفورد، لكن الامتيازات والحريات الأكاديمية فى كمبريدج كانت ابطأ فى نموها إلى حد ما مما كان عليه الحال فى أكسفورد. انظر:

Leach, Educational Charters, p.153; Rashdall, vol.II, part.II, p.547-8.

(٢) يُقصد بجملة «وفقًا لتقاليد الجامعة» أن الملك يشير إلى الجامعات الأخرى مثل جامعة باريس، والتى تقاليدها معروفة جيدًا بالنسبة للملك، حيث تسود هناك هذه الممارسات. انظر الحاشية: Cooper, p.42؛ ويشير البند الرابع الخاص برسوم وإيجارات النزل إلى كثرة الطلاب من مختلف المناطق التى لجأت إلى كمبريدج من أجل الدراسة والتعلم سواء من هذا الجانب أو من وراء البحر، والتى تبين بلا شك تأثير الدعوة الملكية إلى طلاب جامعة باريس المهاجرين بالإقامة فى إنجلترا. انظر: Rashdall, vol.II, Part.II, p.547

(٣) Cooper, Annals, p.44-5.

حدث فى المدينتين الجامعيتين الإنجليزيتين – أكسفورد وكمبريدج – بسبب النشاط التجارى للطلاب وأن أى هجرة من هذه المدن من شأنه التسبب فى ركود اقتصادى لهذه المدن. لذا أصدر الملك فى الأول من فبراير عام ١٢٦٥م مرسومًا ملكيًا بقمع هذه الجامعة(١). ونص خطاب الملك فى هذا الشأن على:

تحية الملك إلى عمدة مواطنى نورثامبتون،

«بسبب الخلاف الكبير الذى نشأ فى مدينة كمبريدج منذ سنوات، غادر بعض الطلاب الذين يدرسون هناك بالإجماع إلى مدينة نورثامبتون ونقلوا أنفسهم إلى مدينتكم وأرادوا، بهدف إستكمال دراستهم، إنشاء جامعة جديدة هناك.... ونحن، بناءً على نصيحة رجالنا العظماء، نأمر بحزم بألا يكون من الآن فصاعدًا جامعة فى مدينتنا المذكورة، ويجب ألا تسمح لأى طالب بالبقاء هناك خلاف ما كان عليه العرف قبل إنشاء الجامعة المذكورة». شاهد الملك فى وستمنستر، الأول من فبراير فى العام التاسع والأربعين من حكم الملك هنرى الثالث(٢).

وفى أعقاب الصراع بين الملك والبارونات، ومن أجل الاستقرار والهدوء ومصلحة الجامعة، أصدر الملك ميثاق فى عام ١٢٦٨م مُنحت الجامعة على إثره بعض الامتيازات الخاصة بموازين الخبز والبيرة ونظافة المدينة. ويهمنا من هذا الميثاق الأحكام التالية: البند الرابع: إذا قام أى شخص من العامة بإلحاق أى أذى أو ضرر لطالب، يجب أن يتم القبض عليه فورًا، وإذا كانت الإصابة بالغة يسجن حتى يدفع تعويض مناسب للطالب. وإذا ألحق أى طالب أذى أو ضرر لشخص من العامة، يجب أن يُسجن حتى يطلبه رئيس الجامعة. أما البند الثامن: يجب بيع النبيذ على قدم المساواة وبلا تحيز للطلبة مثل العامة. وفى البند التاسع: منح الملك مستشار الجامعة أو من ينوب عنه حق الإشراف على فحص الخبز والشعير. البند العاشر: منح الملك

---

(١) سناء مندور طرفاية: مرجع سابق، ٥٨.

(٢) Leach, Educational Charters, p.163.

رئيس الجامعة والأساتذة حق الإشراف على نظافة المدينة مع العمدة والنواب(١).

فى إبريل من عام ١٢٧٠م، رافق الملك هنرى الثالث فى زيارته إلى مدينة كمبريدج ابنه الأمير إدوارد (الملك إدوارد الأول فيما بعد)، وأطلعه على الخلافات والنزاعات التى تحدث باستمرار بين المواطنين والطلاب، وقد تعهد الأمير بالعمل كوسيط سلام بينهما، من خلال تدخله بمعاهدة أو تسوية، والتى كانت مختومة بأختام مشتركة للجامعة والمدينة، وأيضًا بختم الملك. ونصت هذه التسوية على حفظ سلام الجامعة والمدينة وأخذت تعهدات الطلاب والأعيان بالعمل على ذلك(٢).

وفى الرابع والعشرين من يوليو من نفس العام، أصدر الملك بناءً على طلب أساتذة وطلاب كمبريدج، خطابات منعت قيام مباريات المبارزة بالرماح Tiltings أو Justings(*)، أو غيرها من الألعاب الحربية فى مدينة كمبريدج أو فى حدود خمسة أميال منها(٣). وقد حصلت جامعة كمبريدج على هذا الامتياز مرة أخرى فى عامى ١٣٠٥ و ١٣٠٩م، عندما تم الإعلان عن قيام مبارزات سوف تحدث فى الجوار، لذا أعلن عمدة المدينة بحظر انتهاك الميثاق الممنوح للجامعة من قبل الملك هنرى الثالث بهذا الشأن، وأن أى شخص سيتجاهل هذا الحظر، ويعصى الملك، أو يُحدث إزعاج للأساتذة والطلاب بعقد هذه المباريات، سوف يتم القبض عليه واحتجازه بالسجن حتى يأمر الملك بخلاف ذلك(٤).

---

(١) Tait, J., "The Origin of town councils in England", EHR, vol.44, No.174, (Apr., 1929), p.187; Cooper, p.50-1; Huber, p.117.
وقد مُنحت جامعة أكسفورد ميثاق مشابه جدًا لما سبق فى عام ١٢٥٥م.

(٢) للإطلاع على بنود هذه المعاهدة انظر: Cooper, p.52-3; Huber, pp.421-3

(*) Tiltings: هى المبارزة بالرماح من على ظهر الخيول؛ أما Justings: هى مبارزة بين اثنين من الرجال باستخدام الرماح وهى ضمن سلسلة من المباريات. انظر: http://www.thefreedictionary.com/justing

(٣) Cooper, p.53; Smith, J.J., ed., The Cambridge Portfolio, vol.I, London, 1840, p.99-100.

(٤) Cooper, p.71-2; Vaughn, p.114-5.

استمرت امتيازات الجامعة فى عهد الملك إدوارد الأول Edward I (١٢٧٢–١٣٠٧م). ففى السادس من فبراير عام ١٢٩٢م، تم التأكيد على المواثيق الممنوحة للجامعة من قبل الملك هنرى الثالث، وكذلك الإتفاقية المبرمة بين الجامعة والمدينة فى عام ١٢٧٠م، وقد أكدوا جميعًا بموجب ميثاق التعزيز Charter of Inspeximus(*)، وهو ما يوضح اهتمام الملوك المتعاقبين بالجامعة(١). وفى نفس العام أيضًا، قدمت الجامعة عريضة إلى الملك فى البرلمان، رجت فيها أن يمتلك رئيس الجامعة الاختصاصات المتعلقة بالعقود والاتفاقيات بين الطلاب وأهالى المدينة. وقد أجاب الملك أنه يجب أن يكون لهم ما لجامعة أكسفورد، حيث منح لرئيس الجامعة الحق فى أن يدعو المواطنين لإجابة الطلاب فى جميع الإجراءات الشخصية(٢).

اهتم الملوك بتعبيد الطرق ورصف مدينة كمبريدج لتكون مكانًا لائقًا لأساتذة وطلاب الجامعة، حيث وافق الملك إدوارد الأول فى الرابع عشر من يناير عام ١٢٨٩م – بناءً على اقتراح جيفرى بكينهام Geoffery de Pakenham رئيس الجامعة – على تحصيل عمدة المدينة والنواب بعض الرسوم والجمارك لمدة ست سنوات على مختلف السلع والبضائع التى جلبت للمدينة للمساعدة فى تعبيد ورصف المدينة. وهو نفس ما حدث فى السادس من يونيو عام ١٣٢٠م، عندما منح الملك لعمدة المدينة رسوم لمدة ثلاث سنوات للمساعدة فى تعبيد المدينة، بناءً على طلب أسقف ريتشموند ومسئول الخزانة الملكية ورئيس الجامعة. وفى الثامن والعشرين من نوفمبر عام

(*) Inspeximus: كلمة لاتينية الأصل تعنى الميثاق الذى يقره ويؤكده المانح من ميثاق سابق. انظر: https://www.merriam-webster.com/dictionary/inspeximus

(١) وقع هذا الميثاق كل من روبرت Robert أسقف باث Bath وويلز Wells، أنتونى Anthony أسقف دورهام Durham، وليم William أسقف إيلى Ely، إديموند Edmund شقيق الملك، وليم دى فالنسيا William de Valencia عم الملك، جيلرت دى كلير Gilbert de Clare إيرل جلوستر Gloucester وهيرتفورد Hertford، هنرى لاسى Henry de Lacy إيرل لينكولن Lincoln، همفرى بون Humphrey de Bohun إيرل هيرفورد Hereford وإسكس Essex، وغيرهم. انظر: Cooper, p.64

(٢) Cooper, p.70-1.

١٣٢١م، منح الملك تقديرًا لرئيس وأساتذة الجامعة، عمدة المدينة رسوم محددة على السلع الرائجة التى جلبت للمدينة، على أن تستخدم هذه الرسوم فى إصلاح وتحسين رصف الطرق، تحت إشراف رئيس الجامعة وأساتذتها، أو من يتم انتدابهم(١).

وفى الخامس من يونيو عام ١٣٠٩م، صدَّق الملك إدوارد الثانى Edward II (١٣٠٧-١٣٢٧م) على المواثيق الرئيسية للجامعة من خلال ميثاق التعزيز(٢). وفى خطاب الملك الصادر لمواطنى كمبريدج بتاريخ السابع والعشرين من نوفمبر ١٣١٣م، أكد الملك فى البند الرابع أنه يجب ألا تضر تجاوزات بعض المواطنين بأى حال من الأحوال أساتذة وطلاب الجامعة، أو تمس أى امتيازات منحت لهم من قبل أسلافه. وفى خطاب له مؤرخ فى يورك فى الثالث من أكتوبر من نفس العام، أمر جميع النواب والأهالى المخلصين بالحفاظ والدفاع عن امتيازات الجامعة ومساعدة رئيس الجامعة والأساتذة والطلاب فى الحفاظ على السلام والهدوء(٣).

ومن ناحية أخرى، منح الملك إدوارد الثانى الجامعة بعض الامتيازات الهامة التى من شأنها المساهمة فى رفعة الجامعة، وجاءت الامتيازات المؤرخة فى كلارندون Clarendon فى فبراير عام ١٣١٦م ممثلة فى:

أولًا: يجب أن يتمتع رئيس الجامعة والأساتذة والطلاب بجميع الحريات الممنوحة لهم أو لأى من أسلافهم السابقين بلا استثناء.

ثانيًا: بالإضافة إلى الغرامات والعقوبات Amerciaments المفروضة على التجار الغشاشين بواسطة ميثاق الملك هنرى الثالث، يجب مصادرة السلع المباعة.

---

(١) Ibid., p.62-78-80.

(٢) وُقِّع الميثاق من قبل جون John أسقف شيستر Chichester ومستشار الملك، سيمون Simon أسقف سروم Sarum، هنرى لاسى إيرل لينكولن، همفرى بون إيرل هرفورد وإسكس، هيو ديسبنسر Hugh Le Despencer، وغيرهم. انظر: Cooper, p.72

(٣) Ibid., p.74.

ثالثًا: يجب أن يمتد الحكم الخاص بحبس الأشخاص الذين يُلحقون ضرر جسيم بالطلاب إلى الإصابات الخفيفة.

رابعًا: إذا اشتبه رئيس الجامعة فى حبس بعض الطلاب عن طريق الخطأ، يجب على مسئولى السجن – بناءً على طلب رئيس الجامعة أو أحد الأساتذة المفوضين من قبله – السماح له بتفقد هؤلاء السجناء وأسلوب معاملتهم والتحفظ عليهم، حسب ما يرى أنها ملائمة، ويجب أيضًا – حسب تحذير رئيس الجامعة – تصحيح كل هذه العيوب والتجاوزات على ما يرام.

خامسًا: إذا سدد رجال الدين رسوم الدراسة، وأصبحوا طلاب بالجامعة، وطالما أنهم يواصلون دراستهم فيها كما ينبغى، يجب ألا يعرضوا على أى جلسات قضائية، أو هيئة المحلفين، أو الاعترافات.

سادسًا: إذا قُتل أحد الطلاب أو تعرض لأذى كبير فى المدينة أو ضواحيها، وأهمل النواب فى القيام بواجباتهم، يجب معاقبة النواب المذكورين آنفًا وكذلك طبقة العامة.

سابعًا: على مجلس البلدية إخطار رئيس الجامعة باليوم الذى يؤدى فيه العمدة والنواب يمين الولاء فى قاعتهم العمومية، هذا القسم بقدر ما يحترم الطلاب، ينبغى أنه، سيحافظ على مكانتهم وحريات وأعراف الجامعة فيما يتعلق بالحفاظ على سلام الملك وقانون الخبز والبيرة والأطعمة الأخرى؛ ومن ناحية أخرى فإن يمين الولاء سيكون دون جدوى إذا لم يكن رئيس الجامعة، بعد إخطاره، حاضرًا بنفسه أو مراقبه.

ثامنًا: إذا استقبل أحد المواطنين فى منزله، وهو على دراية، أولئك الذين يرتكبون اعتداءات كبيرة ضد الطلاب وأخفاهم لكى يحميهم من العقاب، فإن هذا المواطن مسئول عن منزله ويُعاقب بشدة.

تاسعًا: عند فحص الخبز والبيرة من قبل أعضاء مجلس البلدية، يجب أن يكون رئيس الجامعة، أو القائم بأعماله، على علم مسبق سرًا فى اليوم السابق، لكى يكون متواجدًا إذا رغب فى ذلك، وإذا انتدب رئيس الجامعة من ينوب عنه، يجب أن يقسم

أمام الذين يخطرون رئيس الجامعة، بعدم البوح بهذا الفحص قبل أن يتم، وعليهم أن يعملوا بجد وإخلاص فى هذه المهمة(١).

وفى العشرين من فبراير من نفس العام، أى بعد أربعة أيام من الامتيازات السابقة، قرر الملك أن جميع قضايا الطلاب المتعلقة بالقروض، وفرض الضرائب، وتأجير المنازل، وسوم بيع أو تأجير الخيول، وأسعار القماش، أو الأطعمة، يجب أن تقرر من قبل رئيس الجامعة فقط. وفى عام ١٣١٧م أصدر الملك ميثاقين فى غاية الأهمية. جاء الأول بتاريخ الثالث من يونيو، وفيه قرر الملك أنه إذا ألحق أحد العامة ضرر جسيم بطالب، أو طالب بأحد العامة، يجب القبض عليه فورًا وسجنه بالقلعة حتى يطلق سراحه بتعويض مناسب، أو بناءً على طلب من رئيس الجامعة. وأى تحقيقات ستحدث على إثر تجاوزات كبيرة وشنيعة يرتكبها العامة ضد الكتبة، أو الكتبة ضد العامة، داخل مدينة كمبريدج وضواحيها، سوف تأخذ من الأجانب وكذلك من المواطنين(٢). أما الثانى فكان فى السادس من يونيو ١٣١٧م، وفيه منع الملك إقامة أى امرأة عاهرة فى المدينة أو ضواحيها، وأمر عمدة المدينة والنواب، بعد تحذير رئيس الجامعة أربعة مرات سنويًا أو أكثر، أن يعلنوا باسم الملك، إلزام كل هؤلاء النساء، تحت طائلة السجن، بمغادرة المدينة خلال فترة زمنية معينة. وفى الثامن عشر من مارس ١٣١٨م، أرسل الملك إدوارد الثانى عدة رسائل للبابا جون الثانى والعشرين، يلتمس منه تأكيد وزيادة امتيازات الجامعة، وهو ما فعله البابا بعد ذلك بوقت قصير(٣). وسوف يتم الحديث عن تلك الرسائل عند الحديث عن الامتيازات البابوية للجامعة.

وعندما أعتلى الملك إدوارد الثالث Edward III (١٣٢٦-١٣٧٧م) العرش، منح الجامعة ستة مواثيق متنوعة، تأكد الامتيازات الممنوحة لهذه الجامعة من قبل أسلافه.

---

(١) Ibid., p.75-6.

(٢) Ibid., p.76.

(٣) Cooper, p76-8; Denifle, p.375.

وفى الثانى والعشرين من أكتوبر ١٣٢٧م، أكد الملك من خلال مياق مؤرخ فى نوتنجهام، الامتيازات الرئيسية الممنوحة للجامعة كما يلى:

أولًا: لما كانت مواثيق هنرى الثالث وإدوارد الثانى نصت على إذا ألحق أحد العامة أذى بكاتب، أو كاتب بأحد العامة، يجب القبض عليه فورًا، لكنها لم تذكر ما حل بالشخص من قبل معتقليه: لذلك أمر الملك أنه يجب على العمدة أو النواب، عند إخطار رئيس الجامعة أو نائبه، استلام الأشخاص المدانين بإرتكاب هذه الجرائم، وإيداعهم بالسجن من قبل رئيس الجامعة أو نائبه، وإذا لزم الأمر يجب القبض على هؤلاء الأشخاص بمساعدة قوة المدينة، وقيادتهم إلى السجن والتحفظ عليهم حتى إطلاق سراحهم من هذا المكان.

ثانيًا: لما قد احتوى ميثاق هنرى الثالث، أن صانعى البيرة وخبازين المدينة، يجب أن يغرموا على جريمتهم فى المرة الأولى؛ وأن يفقدوا خبزهم وبيرتهم فى المرة الثانية؛ أما فى المرة الثالثة يجب أن يحاكموا بالمشهرة Pillory أو العربة Tumbrel(*).... لذلك أمر الملك أن رئيس الجامعة أو نائبه أو من ينوب عنه، يجب أن يكون موجودًا مع العمدة والنواب فى كل مرة يُفحص فيها الخبز والبيرة وهما يُصنعان، ويجب معاقبة المخالفين وفقًا لنص الميثاق المذكور أعلاه، كما أن اسماء هؤلاء المخالفين يجب أن تسلم إلى رئيس الجامعة بمقتضى وثيقة أو عقد لكى يتضح له أن هؤلاء المذنبين عوقبوا بالفعل(١).

وفى الثالث والعشرين من أكتوبر من نفس العام، وافق الملك بعدم إقامة أى امرأة عاهرة فى مدينة كمبريدج أو إحدى ضواحيها، وأن يعلن عمدة المدينة أنه إذا عثر على

(*) Pillory: آلة خشبية للتعذيب وهى عبارة عن إطار خشبى مع فتحات للرأس واليدين تدخل فيها يدا المجرم ورأسه ابتغاء التشهير به ويتعرض للأذى الجسدى أمام الناس؛ أما Tumbrel: عربة تستخدم لنقل السجناء المحكوم عليهم بالإعدام إلى المقصلة. انظر:

https://en.oxforddictionaries.com/definition/pillory
https://en.oxforddictionaries.com/definition/tumbril

(١) Cooper, p.82-3.

أى امرأة تسكن المدينة أو ضواحيها فى وقت يتجاوز الثلاثة أيام بعد الإعلان، سيتم القبض عليهن وحبسهن فى سجن المدينة، حتى يحررن بواسطة رئيس الجامعة أو نائبه(١).

فى عام ١٣٣٤م، غادر بعض الطلاب جامعة أكسفورد وأسسوا جامعة فى ستامفورد. وقد سبب ذلك استياء كبير فى جامعة أكسفورد، ولكن هذه الجامعة الجديدة سرعان ما قُمعت بعد ذلك من قبل السلطة الملكية الحاكمة. وعبَّر الملك عن رأيه فى هذا الشأن من خلال خطاب أرسله إلى شريف لينكولنشاير بتاريخ الثامن من أغسطس ١٣٣٤م يأمره فيه بالذهاب إلى ستامفورد وإصدار إعلان بعدم السماح بوجود أى جامعات إلا فى أكسفورد وكمبريدج(٢). وفى الأول من نوفمبر وجه الملك خطاب آخر إلى عمدة لينكولنشاير بسبب عصيان الأساتذة والطلاب لإعلان الملك، وأمر الشريف بالذهاب مرة أخرى ومصادرة جميع الكتب وغيرها من الأدوات من الذين أعلنوا العصيان. وعلى الرغم من تفاقم المشكلة وعدم حلها، إلا أن الواقعة انتهت بخطاب من أكسفورد إلى كمبريدج تطلب فيه عدم الإعتراف بزعيم العصيان «الحانث بيمينه وقسمه» كأستاذ هناك وهو وليم بارنبى William of Barnby(٣). كما أصدرت جامعة كمبريدج تشريعًا، من أجل معارضة تأسيس جامعة جديدة، نص على أن يصبح خريجيها الذى أكمل دراسته فى أى كلية أستاذًا فى هذه الكلية(٤). واعتقد أن جامعة كمبريدج هدفت من وراء هذا التشريع إلى عدم انسحاب هؤلاء الخريجين إلى هذه الجامعة الجديدة.

وفى عام ١٣٤٣م مُنحت الجامعة امتيازات متعلقة بقضايا الطلاب مثل القروض والهبات والعائدات والضرائب والإيجارات وبيع وإقراض الخيول، وأصبحت جميعها

---

(١) Ibid., p.83.

(٢) Leach, Educational Charters, p.287.

(٣) Ibid., p.288-9.

(٤) Cooper, p.87.

من حق رئيس الجامعة. وفى عام ١٣٥٢م، أمر الملك قضاة مقاطعة كمبريدج بالسماح لرئيس الجامعة بمعاقبة جميع التجاوزات والانتهاكات التى يرتكبها الطلاب، بإستثناء جرائم العنف والفوضى. ولكن تم إلغاء هذا الامتياز فى العام المقبل. وقد اعتبرت الجامعة أن إلغاء هذا الامتياز يُعد انتقاص لامتيازاتها.، ولكن الملك أعلن أن إلغاء الميثاق ينبغى ألا يؤثر بأى حال من الأحوال على الامتيازات، والحريات، والعادات التى تتمتع بها الجامعة(١). ولم يكن حتى عام ١٣٨٣م حتى عادت جامعة كمبريدج واكتسبت هذا الامتياز مرة أخرى، حيث أمتد الإختصاص القضائى ليشمل كل القضايا باستثناء الجرائم وإحداث الفوضى(٢).

ويمكننا القول مما سبق، أن الامتيازات الملكية والدعم الملكى لجامعة كمبريدج لم يتوقف طوال فترة العصور الوسطى، ولم يقتصر على مرحلة النشأة فقط، ولكنه استمر جنبًا إلى جنب مع تطور الجامعة وكلياتها وأنظمتها، وكلما وقعت أحداث جديدة اكتسبت الجامعة امتيازات أخرى، حتى حصلت الجامعة على امتيازات وسلطات كبيرة لم تتنازل عنها أبدًا ولم تسمح لأحد بانتقاصها.

أثر الدعم البابوى فى نشأة الجامعة

أما الدعم البابوى والكنسى لجامعة كمبريدج، حدث أول اعتراف بابوى بجامعة كمبريدج فى عام ١٢٣٣م على يد البابا جريجورى التاسع Gregory IX (١٢٢٧-١٢٤١م) بعد عريضة قدمها له رئيس الجامعة والطلاب، حيث سمح البابا لأسقف إيلى بتبرئة طلاب جامعة كمبريدج، ومنح امتياز لطلاب كمبريدج، بالاستجواب أمام الأسقف أو رئيس الجامعة، وعدم الاستدعاء خارج الأسقفية(٣). ومنذ ذلك الوقت

---

(١) Ibid., pp.95-108.

(٢) Rashdall, vol.II, Part.II, p.548; Cooper, p.126.

(٣) Denifle, p.369-70; Rashdall, vol.II, part.II, p.547; Leader, p.26.

وفى ٢٢ مايو عام ١٢٦٣م، منع الملك إدوارد الثالث جميع الأساقفة ورجال الدين الآخرين من التعدى=

أخذت جامعة كمبريدج تعمل على استقلالها الكنسى حتى تم ذلك فى أواخر القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر(١).

وبحلول منتصف القرن الثالث عشر، كانت هناك أحكام مالية وفيرة من قبل البابوات والأساقفة لتمكين رجال الدين من الحصول على تعليم أكاديمى متقدم. وتُعد تشريعات البابا هونريوس الثالث Honorius III (١٢١٦-١٢٢٧م) معلمًا رئيسيًا فى التشريع البابوى لهذا الأمر، كما كان الأساقفة وعمداء الكاتدرائيات مهتمين أيضًا بتشجيع الطلاب. وبالإضافة إلى دور البابا هونريوس الثالث فى التعليم، احتل كل من البابا أنوسنت الثالث Innocent III (١١٩٨-١٢١٦م) والبابا أنوسنت الرابع Innocent IV (١٢٤٣-١٢٥٤م) مكانة كبيرة فى تعليم العصور الوسطى. ولم تكن هذه الأحكام ضرورية فقط لنمو الجامعة؛ بل كانت مسئولة أيضًا إلى حد كبير عن الزيادة الكبيرة فى عدد رجال الدين الذين ساعدوا على جعل المجتمع الأوروبى والثقافة الأوروبية أقرب إلى عتبة العالم الحديث(٢).

وانطلاقًا من عالمية جامعة العصور الوسطى، أى أن الجامعة فى جوهرها لم تكن محلية أو حتى قومية، فطلابها كانوا من جميع الأمم وحقها فى التعليم شمل جميع أراضى العالم المسيحى. ومن ثم فالبابا وحده من يستطيع أن يسمح للمدرسة المحلية برفعها إلى مكانة الجامعة، وذلك بسبب قدرة البابا على تنظيم العلاقة بين الطالب والأسقف أو رئيس الشمامسة، ولكن السبب الرئيسى أنه كان السلطة الدولية الوحيدة المعترف بها(٣). ومن ثم، اُعتبرت جامعة كمبريدج للمرة الأولى بأنها مدرسة

=على حريات وامتيازات الجامعة، أو إزعاج الطلاب باستدعائهم إلى المحاكم الكنسية، فى القضايا المحددة من قبل رئيس الجامعة وفقًا لامتيازاته وصلاحياته. انظر: Cooper, p.106

(١) سعيد عاشور: الجامعات الأوروبية ١٢٨.

(٢) Pegues, F., " Ecclesiastical Provisions for the Support of the Students in the Thirteenth Century", Ch H, vol.26, No.4 (Dec., 1957), p.316-7.

(٣) Gray, p.11.

عامة Studium Generale من خلال براءة البابا جون الثانى والعشرين فى عام ١٣١٨م، التى صيغت بكل تأكيد كمرسوم تأسيس خلق مدرسة عامة جديدة مع «امتياز حق التدريس فى كل مكان " Jus docendi ubique"[١].

فى الثامن عشر من مارس عام ١٣١٧م، أرسل الملك إدوارد الثانى خطابًا إلى البابا جون الثانى والعشرين، يطلب منه دعم وتعزيز و«تخليد» جامعة كمبريدج، وتأكيد وزيادة امتيازاتها. وكان الملك فى ديسمبر ١٣١٦م أرسل بعثة ملكية إلى البابا فى أفينيون Avignon – أى قبل خطابه بثلاثة أشهر – وتكونت البعثة من إيرل بيمبروك، وأسقف إيلى، وأسقف نورويتش. وبدأوا رحلة العودة إلى إنجلترا فى إبريل عام ١٣١٧م[٢]. كان الهدف المعلن لهذه الرحلة هو كسب تأييد البابا الجديد للملك الإنجليزى؛ أما الأهداف الخاصة، فهى الحصول على إذن لإدوارد لفرض ضرائب على رجال الدين الإنجليز، فضلًا عن المساعدة البابوية ضد الاسكتلنديين. ومسائل أخرى ذات طبيعة أكثر سرية، وعلى الأغلب تطرقت البعثة لفتح مناقشات حول كمبريدج تمهيدًا للوصول إلى خطاب الملك. ونتيجة مباشرة لهذا الخطاب أو هذه العريضة، تلقت كمبريدج القرار الرسولى للبابا جون الثانى والعشرين فى يونيو ١٣١٨م[٣]. وافق البابا على تنفيذ طلب الملك فى السنة الثانية من توليه منصب البابوية، حيث أصدر مرسومًا أن كمبريدج ينبغى أن تكون مقرًا للدراسة العامة. وأن

---

(١) Rait, R.S., Life in the Medieval University, Cambridge University Press, Cambridge, 1918, p.10; Rashdall, vol.II, part.II, p.551; Mullinger, p.144-5; Laurie, p.242.

حصلت جامعة باريس على هذا الامتياز عام ١٢٩٢م من البابا نيقولاس الرابع، وهو الامتياز الذى يعطى أساتذة الجامعة حق التدريس فى أى جامعة دون اختبار مسبق. ولم تحصل جامعة أكسفورد على هذا الامتياز إلا بعد أن أرسل أسقف لينكولن رسالة إلى البابا بونيفاس التاسع عام ١٢٩٦م بمنح هذا الامتياز للجامعة. انظر: سناء مندور طرفاية، مرجع سابق، ص٦١. وعلى الرغم من ذلك فقد تم الاعتراف بامتيازات جامعة أكسفورد وتأكيدها من قبل البابا أنوسنت الرابع فى عام ١٢٥٤م. انظر: Gray, p.12; Kibre, p.274

(٢) Cobban, A.B., "Edward II, Pope John XXII and the University of Cambridge", BJRL, vol.47, Issue 1, 1964, p.67-8.

(٣) Ibid., p.68.

جامعة الأساتذة والطلاب يجب أن تتمتع بجميع الحقوق التى تتمتع بها جامعة معترف بها. كما أكد البابا أيضًا جميع الامتيازات والتسهيلات التى منحت للجامعة من قبل ملوك انجلترا أو البابوات السابقين(١).

إن اعتبار هذا المرسوم مرسوم تأسيس انشأ «مدرسة» فى كمبريدج خاطئ تمامًا. فالتدقيق فى مدرسة كمبريدج فى القرن الثالث عشر يظهر أنها امتلكت بالفعل السمات الرئيسية التى ميزت «المدرسة العامة» بمعنى وجود طلاب من أقاليم ومناطق بعيدة، وتعدد الأساتذة، والتدريس فى واحدة على الأقل من الكليات العليا (اللاهوت، القانون، الطب). كما أن أعلى درجة وشهادة للجامعة تضمنت فى قانون السابع عشر من مارس ١٢٧٥م. كما أن كمبريدج قبل عام ١٣١٨م بفترة طويلة اكتسبت مكانة "Studium generale respect regni". ومن ثم فإن هذا الخطاب كان خطاب تأكيد عزز فقط مدرسة عامة قائمة بالفعل دون أى تحسين بأى حال من الأحوال على مكانتها(٢). وقد أكد دكتور راشدال هذه الحقيقة، على الرغم من انتقاصه الدائم فى كتاباته لمكانة جامعة كمبريدج فى العصور الوسطى، أن جامعة كمبريدج امتلكت كل الخصائص التى أدرجت فى التصور المبهم للمدرسة العامة السائد آنذاك، وأن شهادات كمبريدج كان معترف بها كليًا، ومن ثم فإن الاعتراف بكمبريدج كمدرسة عامة تم قبل مرسوم عام ١٣١٨م(٣).

وتكمن أهمية خطاب البابا جون الثانى والعشرين لجامعة كمبريدج، فى أنه لم يجرؤ بابا فى أى وقت من الأوقات على منح – بصورة رسمية – مكانة «المدرسة العامة» لجامعة كمبريدج؛ ولكن دعمها فقط بواسطة التأكيد الرسولى. وبالتالى لم يعترف بها «كمدرسة عامة» من قبل السلطة البابوية، ولكن تم التعامل معها

---

(١) Cooper, p.77.

(٢) Cobban, "Edward II, Pope John XXII", p.68-9.

(٣) Rashdall, vol.II, part.II, p.551.

باعتبارها «عامة» من قبل العرف[١]. كما أن أحد الامتيازات التى اكتسبت من هذا المرسوم البابوى، كان أولئك الذين كانوا أساتذة فى جامعة كمبريدج يستطيعون الآن إلقاء محاضراتهم فى أى مكان فى العالم المسيحى، حيث كان الأمر من قبل مقتصرًا على مدارسهم الخاصة، ويُعد هذا جزءًا صغيرًا من المزايا المستمدة من التأييد البابوى. كما اكتسبت الجامعة إعفاء كامل من السلطة الكنسية والروحية لأسقف الأبرشية، ورئيس أساقفة المقاطعة، وهذه السلطات بسبب تعلقها بأعضاء الجامعة فقد خُولت إلى رئيس هذه الهيئة. ومع ذلك ظل هذا الامتياز محل تنازع باستمرار»[٢].

إذا يمكن القول، أن الاعتراف الرسمى بجامعات العصور الوسطى جاء بعد الوجود الفعلى للجامعة، مما يعنى أن الجامعة كانت أمرًا واقعًا. فعلى سبيل المثال فى عامى ١٢٩١-١٢٩٢م حصلت جامعتى باريس وبولونيا الأقدم فى النشأة على الاعتراف البابوى، وجامعة سالرنو عام ١٢٣١م، وجامعة بادوا Padua عام ١٣٤٦م. وبالتالى فإن الاعتراف البابوى كان تتويجًا لجهود الجامعة.

---

(١) Cobban, "Edward II, Pope John XXII", p.74.

(٢) Cooper, p.77.

كان خطاب البابا جون الثانى والعشرين فى حوزة الجامعة حتى عام ١٤٢٠م، حيث كان الخطاب مدرجًا فى قائمة مفصلة بمحتويات الخزانة التى صنفت بواسطة الأستاذ وليم راسلى William Rysle. ولسوء الحظ فى تاريخ لاحق غير معروف اختفى الخطاب منذ ذلك الحين. والنص الموجود حاليًا مأخوذ من نسخة مصورة من سجل الفاتيكان للبابا جون الثانى والعشرين. وقد تطابق نص الخطاب مع نص الخطاب الوارد فى وثيقة معنونة بـ "Processus Barnwellensis ex mandato Martini Papae V, cum bullis Johannis XXII et Bonifacii IX" وهذه الوثيقة النفيسة مؤرخة فى ١٠ أكتوبر ١٤٣٠م، ومحفوظة فى أرشيف جامعة كمبريدج. ففى عام ١٤٣٠م أوفد البابا مارتن الخامس Martin V – وهو راعى عظيم للجامعات – بعض المحققين للبحث والتقصى إذا كانت الجامعة اكتسبت إعفاء مستشاريها من السلطة الكنسية بالمنح أم بالعرف، وهو ما أسفر عنه التحقيق بحق الجامعة فى الإعفاء الكنسى. لذا أصدر البابا أيجين الرابع Eugenius IV فى عام ١٤٣٣م براءة بتأكيد أحكام المفوضين. وللمزيد من التفاصيل انظر:

Cobban, "Edward II, Pope John XXII", pp.69-73; Malden, p.104.

والسؤال الذى يتبادر إلى الأذهان الآن هل اقتصر دعم جامعة كمبريدج فى العصور الوسطى على الدعم الملكى والبابوى فقط أم كان هناك دعم من جهات أخرى؟ والإجابة بالطبع لا، فلم يقتصر الدعم الجامعى على الملكية الإنجليزية والبابوية فقط، بل كان هناك دعم من قبل النبلاء والطبقة الأرستقراطية، ورجال الدين والكنسيين، وخريجى الكليات، والتجار. وعلى الرغم من اختلاف درجات الدعم من كل جهة، إلا أنه كان فى نهاية الأمر يصب فى مصلحة الجامعة. ولم يقتصر دعم الجامعة على الامتيازات والمواثيق والمراسيم، بل امتد إلى الدعم المالى فى شكل هبات ومنح وقروض، وتأسيس كليات، وإنشاء مكتبات، وإعانة الطلاب الفقراء، وغيرها من أشكال الدعم الأخرى. ومن ثم، فالدعم كان معنويًا وماديًا.

فى حقيقة الأمر، تدين جامعة كمبريدج، وأكسفورد أيضًا، فى العصور الوسطى بدين كبير إلى سخاء عدد وافر من المتبرعين والمحسنين من أصول اجتماعية مختلفة. وبالنظر إلى إيرادات الجامعة المحدودة، فلم يكن بوسع الجامعات أن تعمل بمستوى ناجح دون مساعدة مادية كبيرة من المتبرعين. على الرغم من أن الملكية الإنجليزية قدمت مساهمة قيَّمة فى العديد من مجالات الحياة الجامعية، إلا أنه يبدو أن هذا الإحسان الملكى كان أقل من المفترض(١).

وقد أعطى النبلاء الإنجليز الذكور هبات متقطعة من الممتلكات وقدموا تبرعات لخزانة القروض. وقد فتح هذا الطريق أمام الملكات ونساء الطبقة الأرستقراطية ليبرزن كمتبرعات ذوى أهمية فى كل من الجامعة ومجال الكليات. ويمكن القول أن النساء من الطبقة العليا من المجتمع جاءوا فى مرتبة – من حيث الأهمية كمتبرعات للجامعة والكليات – أقل من الكنسيين والفرسان والأعيان والتجار والأعضاء الحاليين والسابقين للكليات وموظفى الجامعة. ومع ذلك، تُعد تبرعات الأساقفة الإنجليز

---

(١) Cobban, A. B., "English University Benefactors in the Middle Ages", History, vol. 86, No.283 (Jul., 2001), p.288.

وإسهاماتهم أكثر أهمية نحو تطور الجامعة والكليات من أى جماعة فى المجتمع(١).

وبإعتبارها إتحادات ذات تمويل خاص، فإن جامعتى أكسفورد وكمبريدج فى العصور الوسطى وكلياتهما اعتمدت بشكل أساسى على كرم المتبرعين. فكانت مالية الجامعات الإنجليزية مستمدة فى المقام الأول من رسوم التدريس والدرجات العلمية، ومن أموال الهبات أو الإعفاءات من متطلبات قانونية، ومن إيجارات الممتلكات. ولم تسفر مصادر الدخل هذه إلا عن عائدات متواضعة(٢). كانت مدخرات رأس المال الكبيرة فى شكل أوقاف وقروض جامعية. وكانت هذه العقارات، والممتلكات، والكنائس المخصصة التى تراكمت من قبل الكليات جزءًا أساسيًا من تطورها المؤسسى العام. وعلاوة على ذلك، ثبت أن جذب التمويل الخارجى، سواء فى شكل نقد أو أوقاف، شرط أساسى لا غنى عنه لمشاريع البناء، وتوفير مكتبة، ورواتب المحاضرين، والعديد من المشاريع المكلفة التى تدعم الجامعة ونموها. وبدون الدور الجوهرى والهام للمتبرعين ما كانت ازدهرت الجامعات الإنجليزية فى العصور الوسطى أكثر من حالتها الأولية فى أوائل القرن الثالث عشر الميلادى حيث عاشت جماعات الأساتذة والطلاب، يدرسون ويتعلمون فى أماكن مزدحمة وغير ملائمة فى كثير من الأحيان(٣).

---

(١) Ibid., p.288.

انفرد دكتور جون كلارك بمعلومة عن الملكة إليانور القشتالية Eleanor of Castile، زوجة الملك إدوارد الأول، والتى توفيت فى ٢٨ نوفمبر ١٢٩٠م، بأنها تبرعت فى وصيتها بمبلغ ١٠٠ مارك للجامعة لإعالة الطلاب الفقراء ولكن لم يفصح عن ذلك فى وصيتها إلا مؤخرًا وتحديدًا عام ١٢٩٢م وتم دفع مبلغ ٥٠ مارك فقط بدلًا من ١٠٠ حسب الوصية. وإذا صحت هذه المعلومة فسوف تكون الملكة إليانور هى أول متبرعة من النساء للجامعة. انظر:

Clark, C.W., *Endowments of University of Cambridge*, Cambridge University Press, Cambridge, 1904, p.553-4.

(٢) Ibid., p.288.

(٣) Ibid., p.289.

وعلى إثر هذا الدعم كُتب لجامعة كمبريدج البقاء والاستمرارية على مدار هذه القرون الطويلة، فالعديد من جامعات العصور الوسطى اندثرت ولم يكتب لها البقاء. ولكن هذه الامتيازات الممنوحة للجامعة من قبل الدولة والكنيسة ساهمت فى وجودها واستمرارها، حيث رأى كل منهما فائدة فى دعم وتعزيز مؤسسة الجامعة. وعلاوة على ذلك، فإذا كان القرن الثالث عشر هو القرن الذى ولدت فيه جامعة كمبريدج وهو طور النشأة، فإن القرن الرابع عشر هو طور تطور الجامعة، أما القرن الخامس عشر فهو طور نضج الجامعة وتألقها.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: المراجع العربية

- زينب عبد المجيد، «جامعة أكسفورد فى العصور الوسطى»، حولية التاريخ الإسلامى والوسيط، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مج٣، ٢٠٠٣م.
- سعيد عاشور، الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م.
- سناء مندور طرفاية، جامعة أكسفورد فى انجلترا فى العصور الوسطى (١٢٠٠-١٣٥٠م) دراسة تاريخية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١١م.
- سهى إبراهيم منصور، جامعة أكسفورد خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين، رسالة ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥م.
- نظير حسان سعداوى، تاريخ انجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والحديثة، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨م.

ثانيًا: المصادر الأجنبية

- *Ingulph's Chronicle of the Abbey of Croyland*: With the Continuations by Peter of Blois and Anonymous Writers, trans. from the Latin with notes by Henry T. Riley, London, 1908.
- Matthew of Westminster, *The Flowers of History: Especially such as relate to the Affairs of Britain The beginning of the world to the year 1307*, 2 volumes, trans. from the original by C.D.Young, London, 1853.

- Matthew Paris, *English History from the Year 1235 to 1273*, 3 volumes, trans. from the Latin by J.A. Giles, London, 1852-4.
Roger of Wendover, *Flowers of History*, vol.II, trans. from the Latin by J.A.Giles, London, 1849.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

- Bateson, M., *Mediaeval England 1066-1350*, London, 1903.
- Clark, C.W., *Endowments of University of Cambridge, Cambridge University Press, Cambridge, 1904.*
- Cobban, A.B., "Edward II, Pope John XXII and the University of Cambridge", *BJRL*, vol.47, Issue 1, 1964.
- ————, "English University Benefactors in the Middle Ages", *History*, vol.86, No.283 (Jul., 2001).
- Compayre, G., *Abelard and the Origin and Early History of Universities*, London, 1893.
- Cooper, C.H., *Annals of Cambridge*, vol.I, Cambridge University Press, Cambridge, 1852.
- Denifle, H., *Die Universitäten Des Mittelalters Bis 1400*, Berlin, 1885.
- Dyer, G., *History of the University and Colleges of Cambridge*, vol.I, London, 1814.
- Gray, A., *Cambridge and Its Story*, London, 1902.
- Huber, V.A., *The English Universities*, vol.I, trans. from German and ed. by Francis W.Newman, London, 1843.
- Humphry, G.M., "Cambridge: Its University and Its Colleges", *BMJ*, vol.2, No.187 (Jul.30, 1864).
- Kibre, P., *Scholarly Privileges in the Middle Ages*, Cambridge: Massachusetts, 1962.
- Knowles, D., *The Evolution of Medieval Thought*, 2nd Edition, London, 1988.
- Laurie, S.S., *The Rise and Early Constitution of Universities, With a Survey of Medieval Education*, New York, 1887.
- Lawrence, C.H., "The University of Oxford and the Chronicle of the Barons' wars", *EHR*, vol.95, No.374 (Jan., 1980).
- Leach, A.F., *Educational Charters and Documents 598 to 1909*, Cambridge University Press, Cambridge, 1911.
- ————————, *The Schools of Medieval England*, London, 1915.
- Leader, D.R., *A History of the University of Cambridge*, vol.I: *The University to 1546*, Cambridge University Press, Cambridge, 1994.
- Malden, H., *On the Origin of Universities and Academical degrees*, London, 1835.
- Mullinger, J.B., *The University of Cambridge, vol.I: From the earliest times to the Royal Injunctions of 1535*, Cambridge University Press, Cambridge, 1873.
- Orme, N., "The Medieval Schools of Cambridge, 1200-1550", *PCAS*, vol.104, 2015.
- Parry, A.W., *Education in England in the Middle Ages*, London, 1920.
- Patton, C.P., "The Origins and Diffusion of the European Universities", *Yearbook of the Association of Pacific Coast Geographers*, vol.31, 1969.
- Pegues, F., "Ecclesiastical Provisions for the Support of the Students in the Thirteenth Century", *Ch H*, vol.26, No.4 (Dec., 1957).
- Rait, R.S., *Life in the Medieval University*, Cambridge University Press, Cambridge, 1918.
- Rashdall, H., *The Universities of Europe in the Middle Ages*, vol.II, part.II, The Clarendon Press, Oxford, 1895.

- Richardson, H.G., "The Schools of Northampton in the Twelfth Century", *EHR*, vol.56, No.224 (Oct., 1941).
- Salter, H.E., "The Stamford Schism", *EHR*, vol.37, No.146 (Apr., 1922).
- Stubbs, C.W., Cambridge and Its Story, London, 1903.
- Tait, J., "The Origin of town councils in England", *EHR*, vol.44, No.174, (Apr., 1929).

Vaughn, E.V., *The origin and early development of the English universities to the close of the thirteenth century; A study in institutional history*, University of Missouri, 1908.